خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا ميرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ١٦/٠٦/٢٠١٧م

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين).

في الخطبة الماضية أخبرتُكم عن علاقة الأخلاق بالتقوى أي أن الاتقاء يقتضي الأخلاق، وفي هذا الخصوص هناك قول لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن الإنسان لا يكون متقيا إلا إذا تخلّق بجميع الأخلاق. فعلى المؤمن أن يسعى للتخلق بالأخلاق كلها، ويستجيب لجميع الأمور التي أمرَنا الله بها، ويمتنع عن كل ما نهى الله عنه. عندها يمكن أن يحوز الأخلاق السامية التي لا بد منها للمتقي. وهناك أخلاق إذا لم يتحلَّ بها المؤمن يكون إيمانه أيضا مشكوكا فيه، أي يصبح التأكد واجبا هل يتمتع بالإيمان أم لا. فقبل التقوى ثمة حاجة أن يحرز الإنسان الإيمان أولا. وأهم الأخلاق التمسك بأهداب الصدق واجتناب الكذب وهو الشرط الأساسي للإيمان. يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠). فبذكر عبادة الأوثان مع الكذب وضَّح أنه إذا لم تكونوا تتحلّون بالصدق ولم تتعودوا على قول الحق فهو من الكبائر كعبادة الأوثان. فمن المستحيل أن يكون المرء مؤمنا بوحدانية الله سبحانه وتعالى ويكون في الوقت نفسه مشوبا برجس الأوثان المادية أو الخفية. فهذا تحذير كبير وواضح وبين، لمدعي الإيمان، أنه إذا كان مؤمنا فعليه أن يحرز أرفع مستويات الصدق، وإلا فليخَفْ على إيمانه. فقد لفت أنظارنا إلى ذلك سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا بتفصيل ووضَّح وبيَّن بجلاء ما هي الأوثان؟ وما هو رجس الأوثان الواجب اجتنابه وتفاديه لسلامة الإيمان وازدياده، وأي طريقة يجب اتخاذها لذلك. لقد تناول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع مرارا في كتبه ومجالسه ووضح بجلاء أهميةَ الصدق، وأبدى حرقته المتناهية في هذا الخصوص التي يجب أن يضعها كل أحمدي في الحسبان كل حين وآن لكي نقوّي إيماننا ونتقدم في التقوى.

سأقدم اليوم بعض المقتبسات من كلام حضرته عليه السلام وهي تبدو متماثلة لكن في كل جملة يكمن درس وعبرة مستقلة. يقول حضرته في كتابه نور القرآن: لقد اعتبر القرآن المجيد الكذب مثيلاً لعبادة الأوثان، إذ يقول الله عز وجل ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ فكلاهما نجس وخبث فاجتنبوهما.

ثم ذكر ابتعاد المرء عن الله بسبب الكذب وبالأحرى أن يقال إن الله سبحانه وتعالى يتخلى عن الكاذب فقال:

اجتنبوا عبادة الأصنام وقولَ الكذب .. بمعنى أن الكذب أيضا صنم يعتمد عليه الكاذب ولا يتوكل على الله. فالكاذب يترك بكذبه ربه.

وحين ترك الاتكال على الله فهو الآخر سبحانه وتعالى لا يقترب من مثل هذا الإنسان. قال ذلك في كتابه فلسفة تعاليم الإسلام.

ثم قال عليه السلام في محاضرة لاهور: اجتنبوا الأوثان وقول الزور لأن كلاهما نجس. فللتطهُّر يجب على الإنسان أن يجتنب الكذب وكل نوع من الشرك.

ثم قال حضرته في مجلس: لقد عَدّ القرآنُ الكريم قولَ الزور نجاسةً ورجسًا كما قال: ﴿اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾. فانظروا قد ذكر الله هنا الزور مقابل الأوثان. والزور وثنٌ حقًا، وإلاّ لما تَرك أحدٌ الصّدق ومال إلى غيره. وكما أنّ الوثن لا حقيقة له، كذلك لا يُحلّي قولُ الزور إلا بريقا زائفا. إنّ الذين يكذبون يفقدون مصداقيتهم إلى حد لو صدقوا ظن المرء أنّ هناك شيئًا من الكذب والزور في قولهم. وإذا ما أراد المعتادون على الكذب التخلّي عنه، لن يجدوا ذلك سهلًا؛ بل تلزمهم المجاهدة لزمن طويل حتى يعتادوا على قول الصدق. (الحكم، مجلد٦، رقم٣١، عدد ٣١/ ٨/١٩٠٢م، ص٢)

فبعض الناس يعتادون قول الزور في كل أمر، فقال حضرته إن التخلي عنه في هذه الحالة يتطلب جهدا جهيدا لمدة طويلة وبعدها يعتادون الصدق. ثم إن الذين يزعمون أن المرء إذا أراد النجاحات المادية فلا بد من عدم الصدق وشيء من الكذب وأنه بدون الزور لا تستقيم الأمور؛ دحض حضرته أفكارهم قائلا:

.. ذُكر الكذب قرينا لعبادة الأوثان. فكما يحني الغبي رأسه أمام حجر تاركا عبادة الله كذلك يتخذ الكذب وثنا لتحقيق مرامه تاركا الصدق والحق. لذلك عدّ الله تعالى الكذبَ مثل عبادة الأوثان وذكر العلاقة بينهما. فكما يتحرى عابد الأوثان النجاة عند الوثن كذلك يتخذ الكاذب أيضا وثنا من عنده ويظن أنه سينال النجاة بواسطة هذا الوثن. كم تردّت الحالة بحيث إذا قيل لهم: لماذا تعبدون الأوثان، اتركُوا هذه النجاسة، قالوا: كيف نتركه، إذ لا تقوم لنا بدونه قائمة. فأيّ شقاوة أكبر من أهم يعدُّون الكذب مدار حياتهم. ولكني أقول وأؤكد لكم أن الصدق هو الذي ينتصر في نهاية المطاف، وفيه الخير والفتح.

اعلموا يقينا بأنه لا شيء نجسٌ مثل الكذب. يقول الناس الماديون عادة بأن الصادقين يُعتقلون. ولكن أنّى لي أن أقبل ذلك؟ إذ قد رُفعت عليّ سبع قضايا ولم أضطر لكتابة كلمة واحدة كاذبة بفضل الله تعالى في

أي منها. وليخبِرني أحد إذا كان الله قد جعلني أواجه الهزيمة في أيٍّ منها. إن الله تعالى يؤيد الصدق وينصره من عنده. هل يمكن أن يترك الصادق يواجه العقاب؟ لو حدث ذلك لما تشجَّع أحد في العالم على قول الصدق، ولارتفع الإيمان بالله ولمات الصادقون وهم أحياء.

الحق أن بعض الناس عندما يعاقَبون عند قولهم الصدق لا يكون سببه عائدا إلى صدق المقال بل يكون ناتجا عن بعض سيئاتهم الأخرى الخفية السرية (أي إذا تورط أحدكم في جريمة ونشأ لديه حماس للصلاح والبر مؤقتا وصدق ومن ثم عوقب فلا يخطرن بباله أنه واجه العقاب بسبب الصدق، كلا بل تكون العقوبة نتيجة أخطائه الأخرى وسيئاته السابقة) أو لكذب آخر لأن الله تعالى يعلم سلسلة سيئاتهم وشرورهم، أي تكون لهم أخطاء أخرى كثيرة فيعاقَبون على خطأ منها. (الحكم، مجلد١٠، رقم١٧، عدد ١٧/ ٥/ ١٩٠٦م، ص٤)

أقول: إن حساب أعمالنا كله محفوظ عند الله تعالى، تَفسد حواسيبُ الناس وتُـخرق حساباتهم بهجمات إليكترونية وتضيع بياناتهم كلها ولكن لا يسع أحدا محو الحساب الذي هو عند الله تعالى بل يبقى محفوظا. ثم يمكن للإنسان أن يَسلم من العقاب في الدنيا ببعض الحِيَل ولكنه لا يستطيع أن يخدع الله تعالى، لذا قال عليكم أن تعودوا أنفسكم على الصالحات وتداوموا على الحسنات، فعلى المرء حين يستغفر ويعزم اجتناب السيئات أن يسعى ليحافظ عليها دوما.

أما قول المسيح الموعود عليه السلام بأن الناس الماديين يقولون كيف نترك الكذب لا تتم الأمور من دونه، فهو ليس لنيل المنافع الكبيرة فقط بل نرى حالة أهل الدنيا أنهم يكذبون في كل شيء مهما تَفهَ. ففي الأيام الماضية كان في مجلة "ناشيونال جيوغرافيك" التي نُشر إصدارها الجديد مؤخرا مقالات عديدة أكبرها تخص الكذب. قد تناول هذا المقال دراسة عن سبب الكذب وأثبت أن النجاحات الظاهرية منوطة بالكذب، وهذا ما قاله المسيح الموعود عليه السلام بأن هذا ما يعتقده الناس أن النجاحات لا تتأتى إلا بالكذب. وهذا ما كتبه صاحب هذا المقال وحاول أن يثبت أن الكذب من فطرة الإنسان، مع أنه ليس من فطرة الإنسان بل المحيط يجعله كاذبا، ولما كان لهؤلاء الناس منافع دنيوية لذا فقد حاولوا في هذا الموضوع نشر الكذب وتبريره بقولهم إن الإنسان يكذب منذ صغره مع أنه ليس من طبيعته بل هو يتعلم من المحيط حتى في الصغر، وبلغ حالهم درجة نشروا باعتزاز صُور أولئك الذين يشتركون في مسابقات الكذب ويصبحون أبطالا وينالون جوائز على ذلك. فقال أحد هؤلاء الأبطال: بعض القصص التي أكتبها تكون حقيقية ولكن إن لم أزيّنها ببعض الزور لأصبحت مملة للناس ولم يتوجه إليها الناس، لذا أزوّرها حتى أجذب أنظار الناس، وهذا أيضا يؤكّد قولَ المسيح الموعود عليه السلام.

ثم ورد في هذا الموضوع أقوال الناس، بدءا من الأطفال إلى رجال السياسة وبدءا من أهل الـحِرَف المتنوعة إلى العلماء، أنهم يكذبون في قولهم، ويتبيّن أن الكذب مستشرٍ في هذا المجتمع لدرجة يبدو أنه ليس

فيه إلا الكذب في كل مكان، وبحسب رأيهم لا مفر من الكذب وأنهم مضطرون ليكذبوا. إننا نقول إن مستوى الصدق عند أهل الغرب عال جدا ولكن يتبين من هذا الموضوع أن كل شيء عندهم مبني على الكذب. إنهم قاموا بدراسة فتبيّن من خلال الدراسة المبدئية أن كل شخص يكذب ثلاث أو أربع مرات في اليوم، ولكل كذبة علة، مثلا هناك أنواع للكذب، بعضها لكي لا يهتدي الناسُ إلى الصواب، إذا احتاج أحد إلى الاسترشاد فلا ترشدوه إلى الصراط السوي، أيْ يكذبون لكي يخدعوا الناس، ثم يكذبون لإخفاء تقصيراتهم وهناك أسباب متنوعة أخرى يكذبون من أجلها، ثم تقول الدراسة يكذب الناس ليُعطوا انطباعا غير حقيقي عن أنفسهم، وبعضهم لإظهار العُجب بأنفسهم. هذه أنواع صغيرة للكذب، أما النوع الأكبر الذي ذكره صاحب المقال هو كذب الزوجين على بعضهما في علاقاتهما غير الشرعية مع الآخرين، فيكذب كل منهما ليخفي عن الآخر هذه العلاقات. وحين يتّخذ الزوجان أخدانا بسبب الحرية، هذا أيضا عيب كبير في المجتمع المتحرر أن اللقاءات الحرة فيه تؤدي إلى العلاقات غير الشرعية، وحين ينكشف الأمر ويَظهر الكذب تبدأ النزاعات، ثم يصل الأمر إلى الانفصال والطلاق.

ولو فحصتم أنفسكم لتبيّن أن الطلاق والخلع أو الخلافات في البيوت تحدث بسبب الكذب، لذا فالآيات التي أُمِرنا بتلاوتها عند عقد القران قد رُوعي هذا الشيء فيها، فمنها قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١-٧٢)

حين يكون التحرر يُخلع الحجابُ باسم الحرية، وحين يُخلع الحجاب تبدأ الشكوك وهكذا ينشأ عدم الثقة، ثم يُضطر المرء للجوء إلى الكذب، ثم تبدأ سلسلةُ الكذب اللامتناهية، لذا أمر الله تعالى هنا الزوجين بأنه يجب أن تكون العلاقة بينكما مبنية على الصدق لدرجة لا يكون فيها أي لفّ ودوران بل يكون مستوى الصدق عاليا للغاية، وبذلك لن تكون العلاقات بينكما جميلة فقط بل سينجو أولادكما أيضا من كثير من المشاكل، وكذلك سيغفر الله تعالى لكم ذنوبكم ويكتب لكم فوزا عظيما، فهذا هو التعليم الجميل للإسلام، ومع ذلك إذا كان هناك مَن لا يلتزم بالقول السديد ويُفسد علاقاته ويفقد ثقته بسبب الكذب فهل هناك مَن هو أسوأ منه حظّا؟ قد ارتفعت نسبة الطلاق والخلع عندنا أيضا لأن الناس ابتعدوا عن أحكام الله تعالى. إن أهل الدنيا هؤلاء الذين ليس لديهم أي هدى قد سمّوا الكذب بين الزوجين من أكبر أنواع الكذب الذي يبعث على القلق، فما بال الذين لديهم هدى! فإذا فعلوا الشيء نفسه لكان كذبهم أكثر قلقا، وهذه الحالة مخيفة أكثر لأنهم يعصون أوامر الله تعالى، والذي يفعل ذلك يُحرم من أن يُغفر لذنوبه ويُحرم من النجاحات التي وعد الله تعالى بها، والذين يقومون بذلك حالتهم مقلقة جدا.

كتب صاحب المقال أيضا أن الناس يكذبون ليُخفوا أخطاءهم، وأكبر نسبة هي للذين لا يريدون مواجهة الناس فيقولون بواسطة زوجاتهم أو أولادهم أنهم ليسوا في البيت، ومنهم من يطلب من أولاده أن يقول

لمن يطرق الباب أو يهاتف إن أبي أو أمّي ليس في البيت، وهكذا هم يعلّمون أولادهم أيضا الكذبَ. فهذه ليست فطرة بل هي بعض أعمال الكبار التي تعلّم الأولاد الكذبَ. ثم كتب صاحب المقال أن بعض الناس يكذبون عادةً أيضا، وأقول: إن هذه العادة وليدة المحيط.

ثم يقول صاحب المقال إن الناس يكذبون تحاشيا للحقائق ولكتمانها لئلا يضطروا لكشف الحقائق. كذلك يقولون قول الزور لإلحاق الضرر بالآخرين، ولتحسين سمعة أنفسهم في أعين الناس، كما يكذبون ليُضحِكوا الناسَ. (فمثلا يسردون طرفة أو مزاحا فيه الكذب بينما يمكن أن يمزح الإنسان مزاحا حسنا أيضا) ويكذبون إظهارا للعُجب بأنفسهم ومن أجل المصالح الشخصية والمنافع المالية وغيرها. وقد أورد هذا الاستطلاع نسبة الذين يقولون قول الزور أيّا كان نوعه، فقد جاء فيه أن العدد الأكبر من الكاذبين هم الذين يكذبون لستر أخطائهم وللحصول على المنافع المالية والمصالح الأخرى، والذين يكذبون بهدف عدم مواجهة الناس، إذ من المعلوم أن المرء عندما يرتكب خطأ يحاول أن يخفيه عن أعين الناس فيكذب لهذا الغرض. إذًا، النسبة الأكبر من الكاذبين تنحصر في أربعة أقسام وهي: من أجل ستر الأخطاء، وللحصول على منافع مالية وغيرها، وبهدف عدم مواجهة الناس. هذا ما يقوله الاستطلاع المذكور.

فهذه حالة الذين يقول كثير منا بحقهم أن مستوى صدقهم أعلى منا. إذا صار هؤلاء الناس معيارا لنا فهذا موقف مخيف وخطير للمؤمن. إن هؤلاء الناس لا يؤمنون بالله تعالى أصلا أو يشركون به ﷻ. أما نحن الذين ندّعي الإيمان وندّعي العمل بتعليم الإسلام، إذا تركنا الصدقَ فلا نبتعد عن الدين فقط بل نرتكب الشرك أيضا. فعلينا أن نفحص معيار صدقنا ونكون منتبهين إلى هذا الأمر دائما. لقد منعنا الله تعالى من شهادة الزور فقال ﷻ في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان: ٧٣) فعلينا ألا نشهد شهادة الزور من أجل المنافع المالية ولا لأية مصلحة أخرى، لأنه إذا كنا نريد أن نكون عباد الرحمن ونزداد إيمانا فلا بد من اجتناب الزور واجتناب هجمات الشيطان. والمعلوم أن الكذب مآله قطع العلاقة بالله الرحمن. يقول المسيح الموعود عليه السلام إن انقطاع علاقة المرء بالله الرحمن ينتج عن توطيد علاقته بالشيطان فيقع الإنسان في براثن الشيطان. ماذا يجب أن يكون مستوى صدقنا وكيف يجب علينا أن نجتنب الكذب، يقول المسيح الموعود عليه السلام موضّحا ذلك ما تعريبه: "لا أرى هنا حاجة لأنصحكم بألا تسفكوا دمًا، لأنه ما من أحد يُقدِم على سفك الدم بغير حق إلا من كان شريرا. وإنما أقول: لا تقتلوا الحق بالإصرار على عدم الإنصاف، واقبلوا الحق وإن وجدتموه عند طفل صغير. وإذا وجدتم الحق عند خصمكم فاتركوا منطقكم الفارغ فورا. (أي إذا وجدتم طفلا صغيرا أيضا يقول الحق والصدق فخذوه منه دون أدنى عناد) وقوموا على الحق واشهدوا شهادةَ حقٍّ. يقول الله جلّ شأنه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، أي اجتنبوا الزور، لأنه ليس أقل من رجس الأوثان. كلّ ما يصرف

وجوهكم عن قِبلة الحق فإنه وثنٌ في سبيلكم. فاشهدوا شهادة حقٍّ ولو كانت على أبويكم أو إخوتكم أو أصدقائكم، ولا تمنعنَّكم عداوة من العدل والإنصاف. (أي إن الامتناع عن العدل أيضا كذبٌ)

ذات مرة أثار أحد المسيحيين اعتراضا وقال بأن رسول الله ﷺ سمح بالكذب في ثلاث مناسبات وأجاز في القرآن الكريم صراحة للمسلم أن يكذب لكتمان دينه ولكن الإنجيل لا يسمح للمسيحي أن يخفي دينه. فقال المسيح الموعود عليه السلام ردًا عليه: اعلم أن القرآن الكريم أكّد على الالتزام بالصدق مرات كثيرة ولا يمكنني أن أقبل أن الإنجيل أكد عليه ولو بعشر معشار ما أكد عليه القرآن الكريم... لقد عدَّ القرآن المجيد الكذب مثل عبادة الأوثان، إذ يقول الله عز وجل ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ويقول في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾....أي اشهدوا شهادة الحق ولو ألحقت الضرر بكم أو بأبويكم أو بأقاربكم. إذًا، هذا هو معيار الصدق كما هو معيار العدل أيضا. والمعلوم أن العدل لا يستتب ما لم يمارَس الصدقُ. فمن الضروري للمؤمن أن يحوز هذه المعايير للصدق والحق. لقد زاد المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع توضيحا فقال: لقد قال الله تعالى عن العدل الذي لا يتسنى دون التمسك بأهداب الصدق جيدا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ تعرفون كم هو صعب العدل في المعاملات مع القوم الذين يؤذون بغير حق ويعذّبون ويسفكون الدماء ويلاحقون ويقتلون الأطفال والنساء ولا يرتدعون عن شن الحروب كما فعل كفار مكة، ولكن القرآن الكريم لم يضيّع حقوق الأعداء العطاشى للدماء أيضا فأوصى بالتمسك بالعدل والصدق . أقول صدقا وحقا بأن المعاملة بالتسامح مع العدو سهل ولكن الحفاظ على حقوقهم وعدم ترك العدل والإنصاف عند القضايا معهم صعب جدا بل هو عمل الأبطال فقط. إن كثيرا من الناس يُظهرون الحب مع أعدائهم ويعاملونهم بكلام معسول ولكن يغصبون حقوقهم. (أي لا يتورعون عن الكذب لغصب حقوقهم ولا يعدلون) الأخ يحب أخاه ولكنه يخدعه ويغصب حقوقه متنكرا في لباس الحب. فمثلا إذا كان هناك فلّاح فلا يسجّل اسم صاحبه في الأوراق الرسمية شطارة منه، ولكن من ناحية أخرى يُظهر حبه له وكأنه يضحي بنفسه من أجله."

أقول: تصلني أحيانا رسائل يقول أصحابها أن الناس يغيّرون في المستندات الرسمية لعقارات أقاربهم ويزيّفونها فيُسجلونها بأسمائهم في الدوائر الرسمية أو لا يشهدون شهادة حق فيواجه أقاربهم هؤلاء خسارة مالية.

يقول حضرته: "لم يذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية كلمة الحب وإنما بيَّن معيار الحب، فالذي سيُنصف الحريصَ على قتله ولن يحيد عن الصدق والعدل فهو المحب الصادق."

فهذا هو المعيار الذي ينبغي السعي لتحقيقه وهو ألا يصدق المرء من أجل تحقيق المنافع المؤقتة ولا من أجل بعض الأمور الاجتماعية اليومية بل ينبغي أن يكون مستوى صدق المؤمن مرتفعًا بحيث لا يكذب

بقصد الإضرار بعدوه أيضا. فإن كانت هذه هي مستويات المؤمنين مع العدو فلا بدّ أن ترتفع هذه المستويات في التعامل فيما بينهم، وهو أمر يؤدي إلى ارتفاع مستويات محبتهم فيما بينهم أيضا. اعلموا أن الحب يخلو من الكذب، فلا يمكن أن يدّعي أحد حب أحد ثم يكذب عليه، لأن الحب عاطفة عفوية.

فهذه هي تلك المستويات التي ينبغي السعي لإحرازها. إن وصلت مستوياتنا إلى هذه الدرجات فلا يخدع أحد أخاه مطلقا.

ينصح حضرته مؤكدا على أهمية الصدق فيقول:

"إن أكل الحرام لا يضر بقدر ما يضر قول الزور. ولكن لا يفهمنّ أحد من هنا أن أكل الحرام أمر محمود، فإنْ فهم أحد ذلك فهو خطأ كبير. ما أقصد هو أنه إذا أكل أحد خنـــزيرا مضطرا فهذا شيء ولكنه إذا أفتى بلسانه بجواز أكل الخنـــزير فهو يخرج بعيدا عن الإسلام. *(يجوز أكل لحم الخنـــزير في حالة اضطرارية بحيث إذا كان المرء سيموت جوعًا فيمكن أن ينجي نفسه بأكل لحم الخنـــزير، وهذا أمر مختلف تمامًا، ولكنه إن أفتى بلسانه بجواز أكل لحم الخنـــزير فهو ما يبعد المرء عن الإسلام. يقول حضرته:)* بأن مثل هذا الشخص يحلل ما حرمه الله.

ثم يقول: "فيتبين من ذلك أن صدور الخطأ من اللسان أمر خطير، لذا يتحكّم المتقي بلسانه ولا يخرج من لسانه ما يخالف التقوى. فاحكُموا ألسنتكم وليس أن تحكمكم هي فتأتوا بكلام هراء وسخيف." (الحكم، مجلده، رقم١١، عدد ٢٤/ ٣/١٩٠١م، ص٤)

ينبغي أن يتحكّم الإنسان بلسانه، وكأن له الحُكم والسيطرة على لسانه، وألا يتكلم كلما يخطر بباله وعلى لسانه لأنه بهذا الطريق يخرج منه الصدق والكذب وبالتالي يؤدي الأمر إلى حدوث الفتنة والفساد. فلا بد من المراعاة والاهتمام بأن تحرز ألسنتنا هذه المستويات من الصدق دومًا، وأن تكون ألسنتنا مصونة من الشرك وساعية للحصول على المعايير العليا من التقوى.

فلا بد أن يأخذ كل واحد بعين الاعتبار أحوالَ المتورطين في الكذب -التي ذكرتها من خلال المقال المذكور- ثم يحاسب نفسه ليرى ما إذا كان متورطًا في أي نوع من الكذب أم لا. فإن كان متورطًا في أحد أنواع الكذب المذكورة فينبغي أن يفكر كيف يسعه التخلص منه. ولقد بيّن الله تعالى ذريعة للخلاص والنجاة، وندعو الله تعالى أن يوفقنا لاستيعاب هذا الأمر، بل يوفقنا للارتقاء في الصدق حتى نتمسك بالقول السديد دومًا.

ثم هناك حسنة أخرى هامة أو خلق آخر يجب أن يتحلى به المؤمن لأنه يقرب الإنسان إلى الله تعالى، وهو التواضع والابتعاد عن الكبر. يقول الله تعالى عن المتكبرين: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٩)

ولقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع في مواضع كثيرة، يقول حضرته:

"هناك أناس مع كونهم أقل درجة من الأنبياء ببلايين المرات (أي لا وجه للمقارنة بينهم وبين الأنبياء ومع ذلك) إذا أدّوا الصلاة لبضعة أيام أخذوا يتكبرون، وكذلك ينشأ فيهم الكبر والرياء بالصوم والحج بدلا من التزكية."

وفي أيام رمضان هذه أيضا يسعى الناس لعبادة الله، فإن وفّقوا لذلك أو رأوا رؤيا صادقة أصابهم الفخر الكثير، فينبغي تجنّب هذه الحالة والتركيز على الاستغفار الكثير. يقول حضرته:

"تذكّروا أنّ التكبر يأتي من الشيطان ويجعل صاحبه شيطانًا. وإن لم يتخلّ عنه الإنسان كليا لا يقدر على قبول الحق أو نيل فضل الله لأن الكبر يصير عائقًا في سبيله. فيجب ألا يتكبّر المرء بأيّ شيء على الإطلاق لا بالعلم ولا بالثروة ولا بالمرتبة والدرجة ولا بالقوم والطائفة والنسب، لأنه غالبًا ما ينشأ الكبر ويتطوّر بسبب هذه الاعتبارات. وما لم يُزكِّ المرءُ نفسَه من نوازع الكِبر والغرور هذه، فلن يكون عند الله من الصالحين ولن ينال تلك المعرفة من الله التي تحرق نوازعَ الأهواء التافهة *(إن المعرفة التي تقضي على نوازع الأهواء وجذبات النفس لا تُنال ما لم يتجنب المرء الكبرَ وما لم يتحلّ بالتواضع. قال حضرته:)*

لأنّ الغرور من الشيطان ومكروه عند الله تعالى. لقد استكبر الشيطان أيضا وحسب نفسه أعلى من آدم وقال: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (الأعراف:١٣). فكانت النتيجة أنه طُرد من حضرة الله .... ولكن آدم الذي حظي بمعرفة الله قد اعترف بضعفه فورث فضله تعالى. كان آدم يعرف أنه لا يمكن أن يتحقق أي شيء إلا بالدعاء لأجل ذلك دعا قائلا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:٢٤)"

لقد نصح المسيح الموعود عليه السلام جماعته بالإكثار من هذا الدعاء فلا بد من المواظبة عليه ونحن بحاجة ماسة إليه لنيل رحمة الله تعالى ولإحراز درجة العتق من النار في العشر الأواخر من رمضان التي نمر بها.

يقول حضرته:

"هذا هو السر أنه عندما قيل لعيسى عليه السلام، يا أيها المعلم الصالح! فقال: لماذا تدعوني صالحا؟ يقول المسيحيون المعاصرون الجهلاء بأنه كان يقصد من هذا الكلام: لماذا لا تسميني إلها؟ بينما قال المسيح عليه عليه السلام كلاما لطيفا جدا كما هي خاصة فطرة الأنبياء. فكان يعلم أن الحسنة الحقيقية تأتي من الله وحده، وهو منبعه ومنه تنـــزل فيعطيه من يشاء وينـــزعه ممن يشاء. ولكن هؤلاء الأغبياء جعلوا هذا المبدأ الجميل والجدير بالتقدير معيبا وحاولوا الإثبات أن عيسى عليه السلام كان مستكبرا مع أنه كان إنسانا متواضعا."

ثم يذكر حضرته طريقًا للتطهر فيقول:

"هذا هو الطريق الأفضل للتطهر في رأيي، وليس هناك طريق أفضل مِن أن يتخلى المرء عن التكبر والتفاخر بكل أنواعه، *(فإن كان يريد أن يتطهر فيجب أن يتخلى عن الكبر)* سواء كان بعلمه أو بعائلته أو بماله. عندما يهب الله تعالى لأحد عينا مبصرة يدرك أن كل نور ينجي من الظلمات إنما يأتي من السماء. والواقع

أن الإنسان بحاجة إلى نور سماوي في كل حين، إذ إن العين أيضا لا تقدر على الرؤية مالم ينــزل نور الشمس الذي يأتي من السماء، وبالمثل إن النور الروحاني الذي يزيل كافة الظلمات ويولّد مكانها نور التقوى والطهارة، إنما يأتي من السماء فقط.

أقول والحق أقول إن تقوى المرء وإيمانه وعبادته وطهارته كل أولئك إنما يأتي من السماء، وهي متوقفة على فضل الله تعالى، فإن شاء أبقاها وإن شاء أزالها.

ثم يقول ؑ: إنما المعرفة الحقة أن يعدّ الإنسان نفسه كالمسلوب واللاشيءِ كلية، ويخرّ على أعتاب الله تعالى بمنتهى التواضع والخشوع طالبا فضله وسائلا نور المعرفة الذي يحرق أهواء النفس، ويخلق في الباطن نورًا وقوة وحرارة لفعل الخيرات، وإنْ تيسّرَ له بعدها نصيب من فضل الله تعالى ومن البسط وانشراح الصدر فلا ينبغي له أن يصاب بالكبر والعُجب، بل يجب أن يزداد تواضعا وانكسارا. (أي يجب أن تزدادوا تواضعا بسبب نزول فضل الله هذا) لأن المرء كلما عدّ نفسه كاللاشيء منّ الله عليه بفيوضه وأنواره أكثر، والتي تمدّه بالنور والقوة. لو اعتقد المرء هذا الاعتقاد فمن المأمول أن تتحسن أخلاقه بفضل الله تعالى. إن اعتداد المرء بنفسه كبرٌ، ويجعله مستكبرا، حتى يصل به الحال أنه يلعن الآخرين ويحتقرهم. ولا بد من القضاء على الكبر، وسبيله أن ينسب الإنسان كل ما فيه من خير إلى الله تعالى.

ويزيد المسيح الموعود ؑ هذا الأمر إيضاحا ويقول:

الحق أن هذا الرجس الذي هو رجس أهواء النفس يظهر من خلال سوء الخُلق والكبر والرياء وغيرها. ولا يمكن القضاء عليه بدون فضل الله تعالى، ولا تحترق هذه المواد الرديئة ما لم تحرقها نار معرفة الله. وكلّ مَن حظي بنار المعرفة هذه بدأ في التخلص من تلك التقصيرات الخُلقية، وعدّ نفسه صغيرا مع كونه كبيرا، ولا يعدّ نفسه شيئًا. (أي أنه يرى أن النور الذي يتلقاه بواسطة أنوار المعرفة هو ليس نتيجةً لكفاءة أو ميزة فيه ولا ينسبه إلى نفسه) بل يوقن أنه محض فضل الله ورحمته، شأنه شأن الجدار الذي يقع عليه ضوء الشمس ويضيئه، إذ لا يحقّ للجدار أن يفتخر بذلك ويقول إن هذا بسبب كفاءة فيّ. وهناك أمر آخر وهو أنه كلما كان الجدار صافيا كان الضوء عليه أصفى وأجلى (أي كلما كان الجدار أكثر صفاء وصقلا انعكس عليه الضوء بصورة أجلى) إلا أن الجدار لا يمكنه أبدا أن ينسب هذا الضوء إلى كفاءة ذاتية فيه، بل الفخر كله راجع إلى الشمس. كما لا يمكن للجدار أن يأمر الشمس برفع ذلك الضوء عنه.

ويقول ؑ: كذلك تكون نفوس الأنبياء عليهم السلام صافية، وتقع عليهم أنوار المعرفة بفضل الله وفيضه، فتضيئهم، ولذلك فإنهم لا يقومون بأي دعوى من عند أنفسهم، بل ينسبون كل فيض وفضل إلى الله تعالى، وهذا هو الحق. ومن أجل ذلك لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم: هل تدخل الجنة بعملك قال: كلا، بل بفضل الله تعالى.

وقال المسيح الموعود عليه السلام: إن الأنبياء لا يعزون أية قوة وطاقة إلى أنفسهم. بل ينالون كل شيء مِن الله تعالى ولا يذكرون إلا اسمه.

(فما دامت هذه حال عباد الله الخواص فكم بالحري بالإنسان العادي أن يتحلى بالتواضع، ولا يبرح يزداد في التواضع شكرًا على أفضال الله تعالى)

الكبر يهلك المرء روحانيا ويبعده عن الله تعالى، ويقول المسيح الموعود عليه السلام موضحا هذا الأمر: إن الله تعالى رحيم وكريم، ويربّي الإنسان من كل النواحي ويرحمه، وبسبب رحمته هذه يُرسل أنبياءه ورسله لينقذوا الناس من الحياة الملوّثة بالذنوب. ولكن الاستكبار مرض خطير جدا، ومَن أصابه مات موتا روحانيا. أعرف يقينا أن هذا المرض أسوأ من القتل. المتكبر يصبح أخا الشيطان، لأن الكبر هو الذي أخزى الشيطان وأذله. لذا يجب على المؤمن ألا يتكبر بل ينبغي أن يتواضع وينكسر. وهذه ميزة المبعوثين من الله تعالى، فإنهم يتحلون بمنتهى التواضع والانكسار، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم تواضعا على الإطلاق. ذات مرة سُئل خادمه كيف يعاملك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: الحق أنه يخدمني أكثر مما أخدمه أنا. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلّم.

يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو ينصح جماعته بهذا الخصوص: الكبر شائع في الدنيا على نطاق واسع. العلماء مصابون بالكبر بسبب علمهم، أما المتصوفون فليس حالتهم على ما يرام، إذ لا يهتمون بإصلاح النفوس. جلُّ همِّهم الأجساد فقط، ومن أجل ذلك تجد عندهم من المجاهدات والممارسات من أذكار وأوراد وغيرها ما لا أثر له في نبع النبوة (أي لا نجد لمجاهداتهم وأذكارهم أثرا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم) أراهم لا يهتمون مطلقا بتطهير قلوبهم. ليسوا إلا أجسادا لا أثر فيها للروحانية. (أي أن هذه المجاهدات لا تقدر على أن تطهر القلوب ولا تهب نور المعرفة الحقيقية) فهذا الزمن خال تماما، لقد صارت السنة النبوية متروكة ومنسية تماما. ويريد الله الآن أن يعيد عهد النبوة ثانية، ويرسي التقوى والطهارة في القلوب، وقد أراد ذلك من خلال هذه الجماعة. فمن واجبكم الاهتمام بالإصلاح الحقيقي، بنفس الطريقة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم.

أي أن الله يريد الآن إرساء هذه الحسنات كلها وخَلْقَ التقوى وتقويةَ الإيمان بواسطة هذه الجماعة، لذا من واجبكم الاهتمام بالإصلاح الحقيقي كما علم النبي ﷺ.

نسأل الله تعالى التوفيق لكي نجتنب كل السيئات ونتحلى بكل الأخلاق السامية، متبعين سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسائرين على الطريق الذي هدانا إليه، حتى نبلغ من الصدق ما يحقق لنا قرب الله تعالى، ونبلغ من التواضع ما يبلّغنا رضى الله تعالى، وأن نكون عند حسن ظن المسيح الموعود عليه السلام بأبناء جماعته. آمين.